قراءات خاطئة وأسئلة جريئة

"سأل رجل أبا عبيدةَ معمرَ بنَ المثنّى الراويةَ اللغويّ، وهو يلقي درسًا في مسجد البصرة، فقال له: يرحمك الله، ما **العنجيد؟** فقال: ما أعرف هذا. فقال: سبحان الله، فأينَك من قول الأعشى:

يوم تُبدي لنا قتيلةُ **عن جيـ** **ـدٍ**، أسيلٍ تَزِينُه الأطواقُ

فقال أبو عبيدة للرجل كاتمًا غضبه: عافاك الله يا أخي: (عن جيدٍ) في بيت الأعشى تتكوّن من كلمتين:

(عن) حرف جرّ جاء لمعنى.

و(الجيد) هو العنق.

ثمّ قام رجل آخرُ في المجلس، وقال: يا أبا عبيدة، رحمك الله، ما (الأودع)؟ فقال: عافاك الله، ما أعرفه. فقال: سبحان الله، فأينك من قول العرب: زاحم بِعَود أوْ دَع.

فقال أبو عبيدة للرجل غاضبًا: وَيْحك! هاتان كلمتان، والمعنى: اترك وذرْ.

ثم استغفر الله، واستمر في الدرس.

فقام رجل ثالث فقال: يرحمك الله، أخبرني عن (كوفا) أمِنَ المهاجرين أم الأنصار؟ فقال أبو عبيدة: رويتُ أنساب العرب وأسماءهم ولست أعرف فيهم (كوفا). فقال الرجل: فأين أنت من قوله تعالى: (والهدي معْكوفا) (سورة الفتح، الآية 25)، فأخذ أبو عبيدة نعليه، وخرج من المسجد وهو يصيح: ما الذي حشرني مع هؤلاء. ما الذي حشرني مع هؤلاء؟!".

(عن معجم الأدباء لياقوت الحموي، بتصرّف)

إضاءة:

أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثنّى

يتّصل الخبر بشخصية عالم ولغوي مشهور من العلماء العرب القدماء اسمه "أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى". عالم ولغوي وراوية مشهور من أهل البصرة المدينة العراقية العريقة التي ما زالت معروفة حتى اليوم. عاش صاحبنا أبو عبيدة في القرن الثاني للهجرة، وتوفي أوائل القرن الثالث الهجري قرابة عام 209 للهجرة. كان أبو عبيدة واسع المعرفة بأخبار العرب وأشعارها ولغتها وتاريخها، وكان له حلقة علمية في مسجد البصرة المشهور في ذلك الزمن، تتلمذت عليه أجيال من العلماء، اشتهر بسعة ثقافته وتنوعها، وبمعرفته الواسعة بأخبار العرب وأنسابها وشعرها.

الفهم والاستيعاب:

ما الفكرة الرئيسية التي يعبّر عنها النص؟

النص الذي قرأناه أقرب إلى "خبر" طريف يضيء موقفاً من مواقف حياة أبي عبيدة عندما كان يشتغل في التعليم ويقدم محاضراته ودروسه العلمية في جامع البصرة. وقد جاءت طرافته من اجتماع عدد من العامّة بين حضور مجلسه، وما طرحوه عليه من أسئلة خاطئة، أي أنها تقوم على وهم أو قراءة خاطئة. ولما تكرر الخطأ قلّ صبر المعلّم تدريجياً حتى قطع درسه، وفرّ من ذلك المجلس.

الفكرة إذن جاءت من خلال الأسلوب القصصي الإخباري، ومحورها حول **الخطأ في اللغة**، فالناس يخطئون قديما وحديثا في القراءة والفهم. لا يقتصر الخطأ إذن على أبناء عصرنا. ولكن ربما كان القدماء أحرص على التصحيح والتصويب، ولم يكن الخطأ مقبولاً في البيئات العلمية، أما اليوم فقد شاع الخطأ، حتى قلّ الصواب!

تحليل النص:

سنتابع الأسئلة الثلاثة التي شكّلت عماد الخبر وأساس بنائه، فإذا فهمناها وراجعناها أمكننا أن نفهم الخبر بشكل أشد وضوحاً وتفصيلاً، وأمكننا أن ندرك من خلال ذلك بعض احتمالات وقوع الخطأ في اللغة قراءة وفهماً.

السؤال الأول: ما "العنجيد"؟

وليست هذه اللفظة الغريبة كلمة صحيحة، فليست هناك كلمة عربية بهذا اللفظ، ولذلك أنكرها أبو عبيدة ولم يعرفها، وعندما تبجّح السائل بأنه يعرف شاهداً عليها، كأنه يريد إحراج أبي عبيدة والتعالم عليه، تبين لأبي عبيدة ولنا جهل ذلك السائل، فهو يعرف شاهداً يتمثل في بيت شعر للأعشى، ولكنه أخطأ في قراءته وفهمه، واخترع تلك الكلمة نتيجة جهله وسوء قراءته.

بيت الشعر الذي استشهد به للأعشى يقول:

يوم تُبدي لنا قتيلةُ **عن جيدٍ** أسيلٍ تَزِينُه الأطواقُ

الأعشى يصف امرأة جميلة على عادة الشعراء المولعين بالجمال، فيتذكر قتيلة وهو اسم المرأة أو لقبها، يوم كشفت بعض جمالها، فظهر عنقها الجميل المزيّن بالأطواق أو القلائد.

(عن جيدٍ) كلمتان، كلمة (عن) حرف الجر المعروف، وكلمة (جيد) وهي اسم مشهور أيضاً بمعنى عنق أو رقبة. فالخلل في السؤال يتمثل في أن الرجل السائل دمج الكلمتين معاً، وظنّهما كلمة واحدة، بل وأمعن في الخطأ عندما أضاف إلى الكلمة التي اخترعها (ال) التعريف، فصارت: العنجيد!!

فالخلل في السؤال سببه الوهم، والخطأ في القراءة والفهم أيضاً. ونستنتج أننا لا بد أن نتبين وحدة الكلمة وتقسيم كلمات النص لنحسن فهمه ولا نقع في مثل هذا الخطأ الفادح. فاللغة إذن تحتاج إلى الفهم وإلى الربط بين اللفظ ومعناه، فإن لم يكن له معنى فلا بد أن هناك خللاً ما يحتاج إلى مراجعة.

السؤال الثاني:

ما الأودع؟

ليس هناك (أودع). فلقد أخطأ الرجل الثاني خطأ فادحاً في تقسيم الكلمات، ولم يفصل بين كلمتين متجاورتين، أي أنه دمج كلمتين، وكوّن منهما كلمة جديدة تخرج عن المراد. دمج حرف العطف: (أو) مع فعل الأمر: (دع) وظنّهما كلمة واحدة صارت اسماً وفق فهمه، ويطلب له معنى!

مرة أخرى لا بد أن ننتبه إلى استقلال الكلمات وتقسيمها لنفهم المعنى. أما قول العرب الذي احتجّ به شاهداً على كلمته فهو قولهم: (زاحمْ بعَود أو دَعْ)، فهو مثل من الأمثال القديمة. يقوم على فعل الأمر: زاحمْ بمعنى نافس غيرك وزاحمه، والعَود بفتح العين هو الجمل المسنّ الخبير، وكأن المثل يوجه الإنسان للاستفادة من أصحاب الخبرة والسنّ، فالمنافسة تحتاج إلى مثل هذا. فإما أن تزاحم الآخرين وأنت تمتلك شرط المنافسة، وإما أن تترك الأمر وتخرج من المنافسة.

السؤال الثالث:

ما (كوفا)؟

هذا هو السؤال الثالث. لكن صبر المعلم نفد ولم يعد بمقدوره التحمّل، ففرّ وهرب ولم يجب أو يوضّح كما فعل في السؤالين السابقين. لقد هاله الخطأ هنا ربما لأن السائل استشهد بالقرآن الكريم، فإذا غفرنا الخطأ في فهم الشعر والمثل، فإنه في القرآن أشد وأصعب.

أما خطأ السائل ووهمه فيتمثل في أنه أخطأ خطأ فادحاً عندما قسّم الكلمة الواحدة وجزأها إلى كلمتين، الكلمة الأصلية الصحيحة هي: (معكوفا) كما في الآية الكريمة "والهدي معكوفا" اسم مفعول من عكف معكوف مثل: درس مدروس، وقرأ مقروء، وكتب مكتوب، وعرف معروف...

ولكنه ظن أن: (مع) كلمة مستقلة، و(كوف) كلمة أخرى، قياساً على استقلال لفظة (مع) المشهورة كما في قولنا: جئت مع أبي، وهي ظرف كثير الاستعمال. ولكن ليس كل صوت فيه الميم والعين هو هذا الظرف، فالميم والعين صوتان أو حرفان قد يردان في استعمالات متنوعة. لقد اجتمع في ذلك السائل الجهل بالقرآن والجهل باللغة معا، وفوق هذا التبجّح بالمعرفة، والوهم بأنه يمكن أن يحرج أبا عبيدة ويذكّره بما فاته من القرآن الكريم!

سنتوقّف في هذه الفقرة عند الكلمات التي أشكلت على السائلين، وصعبت عليهم، فخلطوها بغيرها، وسألوا أبا عبيدة معمر بن المثنّى عنها.

الكلمة الأولى: جِيد بمعنى عنق، رقبة

وردت كلمة (جِيْد) في بيت شعر للأعشى كما مرّ بنا في الخبر الذي قرأناه، هو قوله في وصف امرأة جميلة:

يومَ تُبدي لنا قتيلةُ عن جيـ ـدٍ أسيلٍ تَزينه الأطواقُ

ووردت الكلمة نفسها، كلمة (جيد) في القرآن الكريم، في سورة (المَسَد)، فقال تعالى:
تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ(3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (5).

فقد توعّد الله سبحانه وتعالى أبا لهب وامرأته في هذه السورة الكريمة بالعقاب جزاء إيذائهما النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة الإسلامية. أمّا عقاب امرأة أبي لهب حمّالة الحطب، فهو طوق أو قلادة من حديد أو نار يحيط بجيدها، أي بعنقها في المكان المعهود للقلادة. والأصل في هذا المعنى أنّ المرأة العربيّة تزيّن عنقها بقلادة ثمينة جميلة، كما ورد في بيت الأعشى، ولكنّ أم جميل امرأة أبي لهب أوعدها الله سبحانه وتعالى بقلادة خاصّة من دون كلّ النّساء، هي طوق العذاب الأبديّ الذي سيظلّ في عنقها تتعذّب به.

الكلمة الثّانية: دع: بمعنى اترك

وردت في المثل العربيّ كما جاء في خبر أبي عبيدة: (زاحِمْ بعَودٍ أو دعْ)، أي استفد من أصحاب السنّ والخبرة والحكمة أو دَعْك من المنافسة والمزاحمة. فالفعل (دع) بمعنى اترك. وقد استعمله العرب في كلامهم وأشعارهم، ومن شواهده المعروفة قول أبي نواس:

دعْ عنكَ لَومي فإنَّ اللومَ إغراءُ وداوِني بالتي كانتْ هِيَ الدّاءُ

وفي كلامنا المعاصر نقول: دعْ ما لا شأن لك به، بمعنى اترك، وتخلّ.

وفي خطاب المؤنّث، إذا خاطبت فتاة أو امرأة تقول: دعي، وبإضافة ياء المتكلم تقول: دعيني، أي: اتركيني. هذا الفعل من الفعل الماضي (ودع)، ولكنّ صيغة الماضي نادرة أو غير مستعملة، وقد نستعمل المضارع فنقول: فلان لا يدع مجالًا للشكّ. بمعنى أنّه قاطع واضح لا يترك مجالًا للشك.

وتنبّه كي لا يختلط هذا الفعل بفعل قريب منه في اللفظ بعيد عنه في المعنى، وهو فعل الدعوة: دعا، يدعو، دعاء، ودعوة. تقول: دعاني أحمد على طعام الغداء. والأمر منه: ادعُ، ومنه الآية الكريمة: **(ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة)**.

الكلمة الثّالثة: معكوف

وردت كلمة (معكوف) في الآية الكريمة: (والهدي معكوفا). في الآية الخامسة والعشرين من سورة الفتح:

"هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ"

فالآية الكريمة تخبر عن موقف أهل قريش عندما صدّوا المسلمين ومنعوهم من الوصول إلى المسجد الحرام، وحبسوا الهدي (وهو الذبائح التي يُتقرّب بها وتذبح عند المسجد الحرام من الغنم والإبل)، فأصل معنى عكف ومعكوف: من الحبس ولزوم المكان أو الحال.

وهناك استعمالات أخرى لهذه الكلمة ومشتقاتها:

العاكف: المقبل على الشيء الملازم له، نقول مثلا:

صديقنا إبراهيم يعكف على دروسه أو بحوثه.

عكف القاضي على دراسة القضيّة.

ظل أحمد عاكفًا على قراءة الرّواية حتّى أنهاها.

فكلها بمعنى شدة اللزوم والإقامة على الشيء، فكأنّ من يفعل ذلك يحبس نفسه ملازمًا ما اختاره فلا يبتعد عنه.

ومنه كلمة: اعتكف، اعتكاف، ومنه الاعتكاف في المسجد للعبادة، فهو أيضًا قريب من المعنى الأصليّ، كأنّ من يفعل ذلك يحبس نفسه فلا يغادر المسجد مدة اعتكافه.

وقد تستخدم في سياق آخر كأن نقول:

عكف الصياد المعدن أو الحديد ليصنع صنارة.

وتطوّرت عنها لفظة (عقف) لقرب القاف من الكاف والتبادل بينهما، ومنه اشتقاق:

معقوف/معكوف التي تستخدم مع صناعة المعادن والأدوات المعدنية، بمعنى عوّجه ولوّاه بشكل معين ليستدير أو يتغيّر شكله.

لاحظ أنّ الكلمات التي تعود إلى جذر أو أصل واحد يجمع بينها معنى عام واحد، ولكنّها لا تكتسب دلالتها الدّقيقة الخاصة إلا حين تستعمل في جملة معيّنة. فالسّياق مهمٌّ جدًا في تحديد المعاني.

وقفة دلالية

مع الأسماء والكنى والألقاب:

الأسماء العربية منذ القديم تقسم إلى: كُنْية، ولقب، واسم.

الكُنْية:

وهي ما يبدأ بلفظ: أبو أو أم، وورد منها في النص كنية العالم البصريّ: (أبو عبيدة) فهذه كنية الشيخ أو العالم المعروف. وكثيرا ما تكون الكنية باسم الولد البكر قديما وحديثا، ولكن أحيانا يكنون دون أن يكون هناك ابن من باب التفاؤل. والكنية أمر مستحب خاصة بين الأهل والأصحاب، وفي المواقف غير الرسمية فهي تدل على التحبب والتقارب. وكثيراً ما يستعمل الناس كنية الشخص فيشتهر بها أكثر من اسمه.

الاسم:

وهو ما يطلقه الأهل على أبنائهم ثم يحملونه بقية أعمارهم، وكانوا قديما يضعون لفظ ابن بين الأسماء كما هو اليوم في أسماء بعض الأقطار كما في اقطار الخليج العربي، ومنها في النص: معْمر بن المثنى. وتقول العرب: لكل من اسمه نصيب، وتحث الثقافة العربية الإسلامية على حسن اختيار الاسم لأهميته ولتأثيره على حامله. ويشقى الناس اليوم في البحث عن أسماء ملائمة لأبنائهم. وقد يخطئ البعض فيتعبون الأبناء والبنات بأسماء لا يحبونها، لقدمها أو لعجمتها أو ثقلها وعدم ملاءمتها مع العصر، فيفكرون في تغييرها والتخلّص منها.

اللقب:

التيمي، الراوية، الأعشى.

هذه ألقاب وردت في النص، فأبو عبيدة معمر بن المثنّى يلقّب بـ "التيمي" وهو لقب جاء من اسم القبيلة التي ينتمي إليها، وأما لقب الراوية فلكثرة روايته للأخبار والمعلومات.

أما الأعشى فلقب لشاعر جاهلي من أصحاب المعلّقات العشر، لقّب به لضعف بصره، واسمه ميمون بن قيس، ويلقّب أيضاً بصنّاجة العرب، لما في شعره من الإيقاع والموسيقى، ويكنّى: أبو بصير، على العكس من حقيقته فقد كان أعمى أو ضعيف الإبصار. لاحظ كثرة الألقاب للشخص نفسه.

مثال:

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

أبو عثمان: كنية

عمرو بن بحر: اسم

الجاحظ: لقب

أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبّي

أبو الطيب: كنية

أحمد بن الحسين: اسم

المتنبّي: لقب

وفي قراءة النصوص القديمة والحديثة نحتاج إلى معرفة الأسماء والكنى والألقاب، فهي مسألة لا يستهان بها، وإذا قرأنا نصا ولم نتبين المقصود بصاحب الكنية أو اختلاطه مع غيره، فقد لا يكتمل فهمنا للنص على الوجه الصحيح.

تدريب (1):

لعلّك تفهّمت الألفاظ التي ذكّرنا بها خبر أبي عبيدة، وأدركت معناها وطريقة استعمالها، أثبت ذلك من خلال صياغة جمل من إنشائك تتضمن الألفاظ التالية:

1- جِيد: .....

2- دعْ، دعي: .....

3- معكوف: .....

4- اعتكاف: .....

5- دعا، يدعو: .....

6- كنية: .....

7- لقب: .....

تدريب (2):

بعد قراءة الخبر القصصي السابق وفهمه، يمكنك مع زملائك تحويله إلى مشهد تمثيلي أو مسرحي قصير يعتمد على أقوال وأفعال الشخصيات التالية:

- الراوي: يقدّم الأحداث ويهيّئ ظهور الشخصيات ويربط بينها.
- أبو عبيدة (العالم، المعلّم):
- الرجل/السائل الأول:
- الرجل/السائل الثاني:
- الرجل/السائل الثالث: